

كيف يبدو الإمام الحسين في عدسة الآخر



كل عَالَم تناول النهاية الحسينية من الزاوية التي ينطلق منها في حياته اليومية الإصلاح مسألة إنسانية عابرة للحدود.

في بعض الأحيان تشعرك النصوص أن صاحبها يحاول التقرب أو التعرف على الإسلام من باب الإمام الحسين (ع).

مستشرق: إنَّ الحزن الذي سبَّبه مصرع الإمام الحسين وأصحابه، طل يردد تياراً كبيراً من المتعاطفين مع أبناء علي.

مستشرق: يعتبر الشيعة الإمام الحسين المدافع الحقيقي عن الأُمَّة.

مستشرق: حيث قرئت تلك الحروف الجراح فكانت 67 حرفاً، ثلاثة وثلاثين طعنـة رمح، وأربعاً وثلاثين ضربة سيف.

مستشرق: لا شك أَنَّه (الحسين) قدوة في سبيل ترسیخ المبادئ الحقّة.

مستشرق: أنا مسلم للحسين (ع)، مسلم للأمام العظيم الذي أرانا طريق الإنسانية وأرشدنا الطريق الذي يوصلنا إلى منزل الحرّية.

يشعر المرء بالفخر حينما يتحدث الآخر من خارج إطاره العقدي عن شخصية منه يتمثلها في حياته

ويتخذها أسوة لمعاشه ومعاده، وكاد في كل شهر محرم من كل عام نسمع أو نقرأ عن عالم عربي أو مصلح شرقي يتناول الإمام الحسين (ع) ونهضته المباركة بعظيم القول وجزيل المقال، مثمناً فيه الروحية العالمية التي أبدتها في كربلاء بما جعله يقلب الموازين رأساً على عقب، فصار السيف الذي ذُبح به الحسين (ع) وبالاً على من سله.

وإذا تابعنا نصوص أعلام الأمم الأخرى، نجد أن كل عَلَام تناول النهضة الحسينية من الزاوية التي ينطلق منها في حياته اليومية، وكل رأى في الإمام الحسين صورته، مما ينبئ عن عظيم النهضة الحسينية التي اجتمعت فيها كل قيم الخير ومُذْلِّه، مما خلق منها محطة تزوّد كل يأخذ منها زاده ووقوده، ولا يزيد لها الأخذ إلا زيادة في العبرة والاعتبار.

ومع أنَّ النصوص تزداد كل عام بفعل زيادة قائلتها، فإنَّ بعض النصوص احتفظت بحيويتها لأنَّها أتت من شخصيات لازالت إلى الآن مدار حديث الناس ومحط دراسة المؤسسات البحثية والدراسية من قبيل المها تما غاندي، أو لأنَّ النص حيوي بحد ذاته بما جعله يحتفظ بطراوته وحرارته، أو أنَّ بعض الأمم لا تزال مبتلة بسياسة أو تيارات تحد في هذه النصوص شعارها لا سيما وأنَّها تستند إلى أسس النهضة الحسينية أو أنها تعبر عن شخصية الإمام الحسين (ع) الذي أبان في حركته التصحيحية عن رغبة لدى الآخرين في تصحيح أوضاعهم بغض النظر عن الدين أو المعتقد، باعتبار أنَّ الإصلاح مسألة إنسانية عابرة للحدود، كما أنَّ الإنسان بطبيعة ميال إلى التأسي بشخصيات الخير لأنَّ الأصل في الإنسان الفطرة السليمة.

ومعظم النصوص جاءت من قراءات الآخر للإمام الحسين (ع) ونهضته قراءة وجданية كتعبير لا إرادى عن مكامن النفس الإنسانية المجردة عن التعصب الديني أو القومي، ولذلك تأتي القراءة ظاهرة وبريئة غير مؤدلجة، يتقبلها المسلم وغير المسلم، وفي بعض الأحيان تشعرك النصوص أو صاحبها بمحاولات التقرب أو التعرف على الإسلام من باب الإمام الحسين (ع)، وإن لم تقد القراءة إلى تحول عما يعتقد القارئ إلى الإسلام، بيد أنَّ واقعة كربلاء فرضت عليه أن يتناغم معها وجدانياً وإنَّ تقاطع عقيدياً مع الإسلام، من هنا كان الإمام الحسين (ع) قتيل العَبَرَة والعَبَرَة وهما قيمتان لا تخلو أُمّةٌ من نشداً هما فعلاً أو قوله.

- أعلام من فرنسا :

البروفيسور بيير جون لويزارد (Luizard Jean-Pierre) وهو باحث ومستشرق مسيحي فرنسي متخصص بالتاريخ الإسلامي المعاصر في الشرق الأوسط، من مواليد العاصمة باريس في العام 1954م، له كتابات مختلفة عن العراق بعامة وكربلاء ب خاصة، يرى من خلال قراءته للواقع السياسي بعد استشهاد الإمام الحسين (ع) عام 61هـ، وهو في معرض الحديث عن كتاب ديوان القرن الثاني الهجري أحد أجزاء دائرة المعارف الحسينية: "إنَّ الحزن الذي سبَّبه مصرع الإمام الحسين وأصحابه، ظل يردد تياراً كبيراً من المتعاطفين مع أبناء علي، رغم جور السلطة الأموية خلال قرن كامل من حكمها، كما أنَّه لم يثن الأُمّة من المطالبة

بالتغيير"، (أنظر: نزهة القلم: 94). والبروفيسور لوبيزارد، الأستاذ في المعهد الوطني الفرنسي للغات والحضارات الشرقية (INALCO-Orientals Civilizations at Langues des National Institute The) في باريس، إنما ينظر إلى الأمور فيما يقول ويسلط نظرة خبيرة، فقد درس النهضة الحسينية وأثرها على التحولات التي جرت في التاريخ الإسلامي، كما لا ينسى دور كربلاء في معظم الواقع التي حصلت في العالمين العربي والإسلامي، ولهذا كتب دراسة مفصلة عن تأثير كربلاء في التحولات التي جرت في العراق بعد الاستعمار البريطاني للعراق وقيام ثورة العشرين عام 1920م بقيادة المرجع الديني الشيخ محمد تقى بن محى على الشيرازي الحائرى المتوفى سنة 1339هـ، وكان عنوان الدراسة التي نشرت عام 1996م هو: "كرباء: مركز الحكومة الثورية وعاصمة ثورة العشرين ونموذج الوطنية العراقية"، قدّمها لندوة كربلاء العلمية التي عقدت في لندن في الفترة (30-31/3/1996) وكان لنا فيها دور في التحضير لها وعقدها في "صالون الكوفة" وإعداد وتحرير الكتاب الذي صدر عنها، (انظر دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري: 445-429).

كما لهذا المستشرق الفرنسي المعروف في الأوساط العلمية والأكاديمية في الدول العربية والعضو في مجموعة المجتمعات والأديان (L.R.S.G) في باريس، أكثر من دراسة وكتاب عن تاريخ العراق ودور المرجعية الدينية فيها، فله دراسة بعنوان: "العراق وتاريخ الإصلاح الإسلامي"، وله كتاب: مسألة العراق، كما له: أخبار العراق الحديث: الدور السياسي لعلماء الشيعة في نهاية الهيمنة العثمانية وحتى إعلان الدولة العراقية.

ونتوقف مع نص فرنسي آخر يتناول النهضة الحسينية من منظار الشهادة الواقعية وهو يعقد مقارنة مع صلب السيد المسيح (ع) كما في العقيدة النصرانية، يقول البروفيسور بيير لوري (Lory Pierre) أستاذ العلوم الدينية والتصوف في جامعة السوربون الفرنسية والمولود في باريس سنة 1952م في أسرة كاثوليكية، وهو يعلق على كتاب ديوان القرن الثالث من دائرة المعارف الحسينية: "يبدو لنا بشكل عام أننا نخطئ خطأ كبيراً حين نقارن بين إحياء الشيعة لمعاناة الحسين وبين آلام المسيح عند النصارى، لأن هناك حتماً نقاط اختلاف، فالشهادة في الوعي الإسلامي تحمل قيمًا عالية وهي تمحو ذنوب الشهيد وتنمنحه ثواباً أبداً.. ومعاناة الحسين وقتلها جعلت منه شهيداً في عليين وشفيعاً لأتباعه المخلصين ومن يحبه ومن يتبعه بشكل خاص، هنا لا تصح المقارنة، لأنّ آلام المسيح قد اكتسبت صفاتها المذكورة عند المسيحية باعتباره ابن الله، وهذا المفهوم غريب على الوعي الإسلامي الذي يرفض حتى موت المسيح (النساء: 157-158)، انظر: نزهة القلم: 123.

وعن الشهادة ومعناها في ضمير المسلمين يؤكّد البروفيسور بيير لوري صاحب كتاب تدبیر الإکسیر الأعظم عند جابر بن حيان وهو في معرض التفریق بين التشهد بالشهادتين والشهادة بالتصحیة: "أما الشهادة بمعناها الآخر فتختلف تماماً وهي أن يكون الإنسان مستعداً لتقديم حياته من أجل عقيدته، فرسالة [...] ليس لها معنى في أفواه الناس إلا عند هؤلاء الذين يجعلون من الحسين أسوة لهم، يجاهدون في سبيل [...]

من أجل العقيدة، ويكشفون النقانع عن الكفر في الوقت نفسه" ، (نرفة القلم: 124)، ويقرر في ختام قراءته الأدبية للقصائد التي نظمها شعراء القرن الثالث الهجري في الإمام الحسين (ع) ونهضته المباركة: "إن" الإطار الخلقي لهذه المقاطع الشعرية ليس فقط الحزن والإحباط، فإن كل العذابات المنتجة لهذا النوع من الأدب تقف وراء أفق آخر، ومعركة كربلاء تشكّل رواية المأساة، وليس فاجعة، لأنها ما فتئت تكشف الانتظار للموعد السرمدي" ، (نرفة القلم: 125).

ومرة أخرى نقف أمام نص فرنسي للكاتبة صابرینا ليون ميرفن Dr. Mervin Leon Sabrina، المولود في أسرة مسيحية في باريس سنة 1958م، وهو نص نابع من باحثة ومحففة نالت الدكتوراه في الدراسات العربية من المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية في باريس The National Institute of Languages and Civilizations Orientals (1998) عام 1998، وكتاب من لـ"الأو الجزء تناولها فعند" ، (الحسين Religieux Faits des Interdisciplinaires Etudes'd Centre Le) : "إن" الحسين والدينية في باريس (Le Centre d'Etudes Interdisciplinaires Religieux Faits des Interdisciplinaires Etudes'd Centre Le) : "إن" الحسين بن علي لعب دوراً له صدأه في تاريخ أصول التشيع، فلم يحتل مكانه في سلسلة أئمة أهل البيت فقط، بل أزّه منح باستشهاده كل المعاني للحركة الدينية التي أنشأتها أسرته، كما أن" الإمام الحسين قد أصبح رمزاً مقدساً، وخاصة عند الشيعة، وهذا واضح من خلال الشعائر الحسينية والمجالس والمواكب والزيارات" ، (نرفة القلم: 393).

وتعتبر الكاتبة صابرینا ميرفن صاحبة كتاب تاريخ الإسلام: الأصول والمذاهب وكتاب الإصلاح الشيعي: علماء ووسائل جبل عامل منذ نهاية الإمبراطورية العثمانية ولغاية استقلال لبنان، إن حدث واقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين (ع) مع أهل بيته وأصحابه بالصورة المفجعة: "يعتبر هذا الحدث في نظر التاريخ زماناً متجدداً في التشيع، بل أكثر من ذلك، فإن عملية استشهاد الحسين تشكل قصة أساسية. ألم يقال بأن" الحسين قد أحيا دين جده بمساعدة كربلاء؟ فهي في كل سنة تُمثَّل وتُعاشر وتُصاغ خلال إحياء (عاشوراء)، وقد شكلت في ذاكرة المجتمع الشيعي الذي أعطته السلوك المثالى نموذجاً للحياة السياسية ومجموعة من القيم الأخلاقية التي يجب إتباعها، وكل هذا من خلال شخص الإمام الحسين" ، (نرفة القلم: 395).

- وللأشوريين رأيهم:

وللأشوريين وهم من الأديان والأقوام القديمة على البسيطة رأيهم في الشهادة الحمراء في كربلاء، يعبر عنها ثلاثة أعلام روسيان وعرائي.

من العاصمة الروسية موسكو يحدثنا البروفيسور قسطنطين ما تفييف بيتروفيچ Matveev Kostantin (Petrovic) قراءته عن 1934م عام موسكو جنوب كم 500 بعد على Voronezh فورونيز مدينة في المولود، لواقعة كربلاء، وخاصة وقد عمل بحكم وظيفته الأكاديمية لأكثر من ثلاثة عقود في استقبال الطلبة من كل

أنباء العالم بما فيه العالم العربي يعرفهم على تاريخ روسيا ويتعرف على تاريخهم إذ كان يجده العربية حيث عمل مدرساً للعلوم الإسلامية واللغتين العربية والإنجليزية في معهد الصحافة بموسكو منذ عام 1973م، فقد كتب وهو في معرض التعليق على الجزء الأول من ديوان الأبودية من دائرة المعارف الحسينية بعد أن استعرض جانباً من وقائع المعركة في كربلاء: "وهكذا، فقد استشهد الإمام الحسين استشهاد الأبطال، وقد حدث ذلك في العاشر من محرم عام (680م)، وكان لمقتله بهذه الطريقة البشعة والبربرية النكراء، نتائج وآثار سياسية ودينية كبيرة على مسلمي العالم أجمع.. وأصبح مقتل الإمام الحسين بشكل دموي، لا لشيء إلا لأنّه أراد أن يُرسِي قواعد الحق والعدالة ويُعيد سيرة جده رسول الله، رمزاً لنضال المسلمين الشيعة في سبيل مستقبل واعد وخير، وهم يحافظون اليوم على مبادئ واسم الإمام الحسين بكل أمانة وثقة واعتزاز"، (نرفة القلم: 204).

ويرى البروفيسور قسطنطين ما تفييف الذي لم يكل عن طلب العلم رغم كبر سنّه حيث زاملته الدراسة في كلية بيركبيك (Birkbeck College) في جامعة لندن (London of University) في الفترة (1995-1997م) ونلنا معاً الدبلوم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، وكان وقتها يرأس مؤسسة الآشوريين اللاجئين في بريطانيا، يرى: "ومن خلال الحسين وما ثرته، ظهرت عظمة شخصيته واتساع فكره الجهادي وذلك بتقديم نفسه وأهله قرابين لمصلحة الأمة الإسلامية والشيعة على وجه التحديد. ومنذ ذلك الوقت ولحد الآن يعتبر الشيعة الإمام الحسين المدافع الحقيقي عن الأمة، والإنسان الذي امتلك الإرث الإلهي والمحظى بالحمدية، والبعيد كل البعد عن أيّة طموحات سياسية، والداعي لإحياء وإنهاض دين جده النبي محمد (ص)"، (نرفة القلم: 205-204).

أما الدكتور دانيال بن إسحاق أوديشو Dr. Odishu Isaac Daniel، المولود في العراق عام 1947م والمتوفى في مدينة كارديف البريطانية عام 2002م، وهو مسيحي آشوري نسطوري لا يختلف، وهو يكتب عن الإمام الحسين (ع) مقدماً للجزء الثاني من ديوان الأبودية من دائرة المعارف الحسينية، عن أي كتاب مسلم محب لأهل البيت عليهم السلام، فيراعه يسطّر بما يعتقد وإن كان على معتقد النبي عيسى (ع) وخاصة وأنّه عاش شبابه في العراق واحتكم بالشعائر الحسينية وعرف الإمام الحسين (ع) عن قرب فكتب يقول: "للإمام الحسين (ع) مكانة و منزلة رفيعة لا يرقى إليها سوى منزلة ومكانة أبيه وأمه وأخيه الإمام الحسن (ع) والأئمة من ولده عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام، ولو بذل المؤرخون المساعي المناسبة والجهد المطلوب لكتابه وتدوين أوليات ما يحظى به الإمام الحسين (ع) من مقام رفيع ومكانة سامية، لخرجوا بأسفار صخمة في هذا المجال، فالقرآن الكريم (تلك الوثيقة الإلهية العظمى) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه، يشهد عن الشوط البعيد الذي قطعه الإمام الحسين (ع) من درجات السمو والنبل الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى، فهو واحد من أهل البيت النبوى الذين نزل في حقهم قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُؤْذِهِ عَنْدَكُمُ الرَّجُسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُؤْذِهِ رَكُمْ تَأْطِهِ رَكُمْ) (الأحزاب/ 33)، والآية الكريمة: (فُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

أَجْرِّا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (الشوري/ 23)، فمن خلال هذه الآيات الكريمة تظهر مكانة الحسين (ع) وأهل البيت ومنزلتهم عند الله تعالى" (نرفة القلم، 319-318).

وبعد صفحات من الحديث عن السيرة الحسينية، من باحث آشوري نال الدكتوراه عام 1991م من جامعة ويلز (العراقية) الحضر مدينة في الآرامية النقوش :المعرونة أطروحته عن (The Aramaic of Hatra)، الطاهر جسده صفحات استحالـت لـقد": فيكتب فيها جرى وما كربلاء واقعة إلى يصل ، كتاباً من دم، وكتبت أقدس مواقف البطولة والشرف، حيث قرئت تلك الحروف الجراح فكانت 67 حرفاً، ثلاثةً وثلاثين طعنة رمح، وأربعاً وثلاثين ضربة سيف، ومنذ ذلك اليوم ولمدة أربعة عشر قرناً نظم الشعراء القوافي وراحوا يرثون الحسين ويندونه، وأجمل ما في هذا الأشعار، المراثي التي تُتلـى في ذكرى استشهاد الحسين (ع) سنوياً في مدينة كربلاء" (نرفة القلم: 329)، وهذه إشارة لما ورد في تاريخ الأمم والملوك للطبرى: 4/344: "كان عدد جراح الحسين ثلاثةً وثلاثين طعنة رمح وأربعاً وثلاثين ضربة سيف".

ومن العراق ننتقل إلى موسكو ثانية حيث يكتب الأديب والرسام والمترجم والإعلامي الآشوري المولود في مدينة أروميه الإيرانية سنة 1918م والمتوفى في موسكو عام 2001م الباحث مارونا بن بنيامين أرسانيـس (Marona Benjamin Arsanis)، الحسينية المعارف دائرة من الأبوذية ديوان من الثالث للجزء يقدم وهو يكتب وهو يعلـق على ما يشاهـده من تقديس الأدباء والشعراء للإمام الحسين وتحصـياته: "ولا شك أنـه (الحسـين) قدوة في سبيل ترسـيخ المبادئ الحقـة، فنهضـ لإنـقاذ المظلومـ من يـد الظلمـ والجـور" (نرفة القلم: 349).

- وللهندوس نظرـتهم:

إذا اشتهر على الألسـن عن المـهاـتمـا غـانـدي (1869-1948م) قوله: "تعلـمت من الحـسينـ كيف أكون مـظلـومـاً فأـنتـصرـ" ، فإنـ"ـالـدـكـتـورـ رـامـ روـشنـ جـيـ بنـ لـالـجيـ كـماـرـ (1915-2006ـم)ـ المـولـودـ فيـ دـلـهـيـ وـالمـتـوفـىـ فيـ لـاهـورـ وهوـ أـديـبـ هـنـدـوـسـيـ خـبـيرـ بـالتـارـيـخـ الإـحـتـمـاعـيـ وـالـأـدـبـيـ لـشـبـهـ الـقـارـةـ الـهـنـدـيـةـ، كـتـبـ وـهـوـ يـقـدـمـ لـلـجـزـءـ الـأـوـلـ منـ كـتـابـ مـعـجمـ الـمـصـنـفـاتـ الـحـسـينـيـةـ منـ دـائـرـةـ الـمـعـارـفـ الـحـسـينـيـةـ: "ـأـنـاـ لـسـتـ بـمـسـلـمـ وـلـكـنـيـ مـسـلـمـ، أـنـاـ مـسـلـمـ لـلـحـسـينـ (ع)ـ، مـسـلـمـ لـلـأـمـامـ الـعـظـيمـ الـذـيـ أـرـانـاـ طـرـيقـ الـإـنـسـانـيـةـ وـأـرـشـدـنـاـ الـطـرـيقـ الـذـيـ يـوـصـلـنـاـ إـلـىـ مـنـزـلـ الـحـرـيـةـ حـيـثـ قـالـ لـأـعـدـائـهـ: إـنـ لـمـ يـكـنـ لـكـمـ دـيـنـ وـكـنـتـمـ لـاـ تـخـافـونـ الـمـعـادـ فـكـوـنـواـ أـحـرـارـاـ فـيـ دـنـيـاـكـمـ" (نرفة القلم: 273).

ويعبـرـ الدـكـتـورـ لـالـجيـ كـماـرـ صـاحـبـ كـتـابـ تـرـيـاـخـ الـهـنـدـ عنـ قـنـاعـتـهـ التـامـةـ: "ـإـنـ"ـالـإـمـامـ الـحـسـينـ (ع)ـ كانـ إـنـسـانـاـ صـادـقاـ صـالـحاـ وـطـاـهـرـ الـقـلـبـ، إـنـسـانـاـ كـامـلاـ، وـرـهـنـ كـلـ حـيـاتـهـ لـلـإـنـسـانـيـةـ وـفـعـدـيـ نـفـسـهـ لـأـجلـهـ، وـلـوـ لـمـ تـكـنـ تـضـحـيـتـهـ فـيـ صـحـراءـ كـرـبـلـاءـ ماـ كـنـاـ نـعـرـفـ لـلـإـنـسـانـيـةـ معـنـىـ، وـلـذـلـكـ نـسـتـطـيعـ أـنـ نـقـولـ أـنـهـ مـحـسـنـ لـلـإـنـسـانـيـةـ، وـمـادـاـمـ هـذـهـ الدـنـيـاـ بـاـقـيـةـ فـسـيـبـقـيـ ذـكـرـ الـإـمـامـ الـحـسـينـ (ع)ـ حـيـاـاـ وـلـاـ يـمـوتـ، بلـ وـكـلـ إـنـسـانـ فـيـ

العالم البشري يؤمن بقيادته الفذّة" (نزهة القلم: 274-273).

المصدر: مجلة ثقافة التقرير/ العدد 44 لسنة 2011